الدرس ٤

WWW.ATTAWEEL.COM

أسئلة الدرس

رحلة فيدريجي الى العراق
(القرن السادس عشر)

ترجمة وتعليق

الاب د. بطرس حداد

بغداد

المقدمة:

هذه رحلة تاجر ايطالي من اهل البندقية. قدم الى العراق في طريقه الى الهند والشرق الاقصى، بحثاً عن الاحجار الكريمة. وهي من اقدم الرحلات، ولم تنقل الى العربية على حد علمنا، ولذا رأينا ان نتحف بها قراء «المورد» خدمة للباحثين والمؤرخين.

صاحب الرحلة:

هو تشيزاري (اي قيصر) بن جيرولامو فيدريجي (ويسرد احياناً: دي فدريجي). من اهل «ايربانو» من المدن التابعة للبندقية. ولد نحو سنة ١٥٣٠م لانه عندما شرع بالرحلة سنة ١٥٦٣ لابد انه كان ابن الثلاثين عاماً او نحو ذلك، وقد اكتسب خبرة في التجارة وطموحاً خفره على المغامرة في رحلة طويلة الى الشرق.

كان يتعاطى تجارة الجواهر ويسعى الى اقتناء النفيس منها، ولهذا سافر في رحلة امتدت به ١٨ سنة، اي مابين ١٥٦٣ الى ١٥٨١، وعاد الى موطنه بحمل بضاعة ثمينة.

طاف في الشرق مروراً بسوريا والعراق والهند حتى وصل الى بورما (ويسميها برمانيا) والى ماليزية وهي ملقة. ولم تكن الرحلة سهلة ولاالتجارة هينة. فكم من مرة اصابته الحمى، وباغته اللصوص وقطاع الطرق. وكم فاجأته العواصف العنيفة واضاع من بضائع، حتى اضطر احياناً على البدء من جديد! لكنه عندما عاد الى وطنه في ٥ تشرين الثاني ١٥٨١ كان يحمل بضاعة جيدة استطاع بواسطتها ان يحتل مركزاً مرموقاً في سوق البندقية ويكون على صلة تجارية بشركاء ومعتمدين له في كل من صقلية واسطنبول.

اما سنة وفاته فغير معروفة لكنها تقع بين ١٦٠٠ ـ ١٦٠٢، ففي سنة ١٦٠٠ حرر وصيته، وفي سنة ١٦٠٢ حرر كاتب العدل تركته، فقد وافاه الاجل بين هذين التاريخين.

رحلته:

غادر البندقية سنة ١٥٦٣ فوصل الى قبرص، ومنها الى طرابلس ثم حلب ودخل العراق عن طريق بيره جك، وانحدر في الفرات حتى الفلوجة، ثم واصل الطريق البري الى بغداد ونزل الى البصرة في نهر دجلة ومن هناك اتجه بالمركب الى الهند.

في سنة ١٥٦٩ قرر العودة الى وطنه بعد ان حقق ارباحاً طائلة، فرجع الى غوا في الهند على امل الابحار الى البصرة، لكنه لم يبحر لسببين: اولهما مرض خطير الم به اجبره على ملازمة الفراش اربعة اشهر، ثم حصار المدينة الذي حال دون مغادرتها؛ فخسر مالاً كثيراً من جراء المرض وغلاء المؤن في اثناء الحصار، فقرر العودة الى التجارة في الشرق. ولما حصل على مال جزيل وقرر العودة الى ايطاليا رحل الى هرمز ثم البصرة ومنها الى بغداد فحلب، وبعد زيارة قصيرة للاراضي المقدسة في فلسطين، اكمل الرحلة الى وطنه فوصل البندقية في ٥ تشرين الثاني ١٥٨١.

WWW.ATTAWEIL.COM

ونزولاً الى طلب الاصدقاء المتلهفين الى اخبار الشرق قرر نشر اخبار رحلته، وكان يحتفظ خلال السفر باوراق يدوّن فيها ملاحظاته. لكن عندما إنكب على الكتابة شعر بعدم استعداده اللغوي للكتابة فطلب من احد اصدقائه الرهبان القيام بهذه المهمة ـ كما نقرأ في آخر الرحلة ـ فلبى الطلب، وهكذا ظهرت الرحلة للنور عام ١٥٨٧م وطبعت في البندقية تحت هذا العنوان الطويل: «رحلة السيد تشيزاري دي فدريجي في الهند الشرقية وماوراء الهند. وتحتوي على اشياء مسرة عن طقوس تلك البلاد وعاداتها وفيها وصف للعقاقير والتوابل والجواهر واللآلي وكيف تُستخرج. مع ارشادات مفيدة لاولئك الناس الذين يبغون القيام بمثل هذه الرحلة» طبعت في البندقية سنة ١٥٨٧م.

يلاحظ من هذا العنوان الطويل ان المؤلف او الناشر اراد تشويق الناس الى مطالعة الكتاب. وقد اعيد طبعه سنة ١٦٠٦. اما الطبعة التي اعتمدناها في الترجمة فهي تلك التي نشرتها وحققتها الباحثة الايطالية «اولغا بيتو» Olga Pinto في روما سنة ١٩٦٢ وقد طبعت مع رحلة «غسبارو باليي» الذي مرّ بالعراق ايضاً، وهي من الرحلات المهمة، ولذا فقد اعددنا ترجمتها ايضاً وسنقدمها قريباً للنشر.

ترجمت الرحلة الى الانكليزية سنة ١٥٨٨ واعيد طبعها اكثر من مرة، كما نُقلت الى الهولندية وطبعت في مطلع القرن الثامن عشر، وقد ذكرت الباحثة بيتو مختلف الطبعات الكاملة والجزئية في نشر اللغات في الكتاب المذكور اعلاه ص ٤١ ـ ٤٢ من مقدمتها.

وزيادة بالفائدة نذكر العنوان الاصلي:

Viaggio di M. cesare dei fedrici, nell' India Orientale, et oltra L. India: Nel quale si contengono cose dilettevoli de inti, et de costumi di quei paesi, et insieme si discriveno le spetiarie, drogho, gioie, e perle che d'essi si cavano, con alcuni avertimenti utilissimi a quelli, che tal viaggio volessero fare. In Venezia MDLXXXVII.

اما الطبعة الاخيرة التي نشرتها الباحثة اولغا بيتو، فعنوانها:

Viaggi di C. Federici e G. Balbi alle India Orientali, a cura di Olga Pinto. Ist. Polig. dello Stato, Roma — 1962.

وظهر الكتاب ضمن سلسلة من الكتب اسمها:

le Nuovo Ramusio, IV.

ان قيمة هذه الرحلة ليست في كثرة معلوماتها، فهي والحق يقال قليلة. لكن قيمتها تكمن في قدمها، اذ تعود الى القرن السادس عشر. وفيدريجي هو اقدم من وصف الطريق بين حلب وبغداد ثم البصرة من الرحالة الغربيين. ولعل الباحث العراقي يجد هنا او هناك في الرحلة ملاحظة تفيده، وبهذا الكفاية.

لم يكن صاحبنا دقيقاً في وصفه خاصة فيما يخص المواقع والمسافات، كما لم يكن لطيفاً في بعض تعابيره عن الشعوب الاخرى.

رحلة فيدريجي الى العراق

المقدمة:

في سنة ١٥٦٣ مسيحية، اذ كنت انا تشيزري دي فدريجي بالبندقية، وقد عصفت بي الشوق لزيارة الشرق، ركبت البحر مع بضائع مختلفة، على متن السفينة «كرادينجا» المتوجهة الى قبرص، بقيادة «جاكامو فاتيكا».

وعندما وصلتُ الى قبرص توجهت الى طرابلس الشام بسفينة اصغر، ولم اتوقف هناك، بل تابعت السفر الى حلب ضمن قافلة من الجمال، فوصلتها بعد مسيرة ستة ايام.

وفي حلب يتم الاتفاق مع التجار الارمن والمسلمين للذهاب سوية الى هرمز، وهكذا بارحت في ركابهم فوصلنا بعد يومين ونصف الى بيره‌جك.[1]

بيره‌جك:

ان بيره‌جك مدينة صغيرة، لكنها مليئة بالسلع. يجري حول اسوارها نهر الفرات. وفي هذا الموضع يؤلف التجار مجموعات سفر، حسب البضائع التي معهم، وتوصي كل مجموعة على قوارب، او بالاحرى تشتري هذه القوارب المعدّة سلفاً للسفر الى بغداد.[2] ويدفع كل تاجر مقداراً محدداً يتلاءم مع مايحمله من بضائع الى ربابنة القوارب وخدامها.

وهذه القوارب مسطحة الارضية، قوية، لاتستعمل الاّ لسفرة واحدة، اي انها تتحدر مع مجرى النهر، ولاتستعمل في الصعود ضد التيار بسبب قوة انحداره ووجود اماكن صخرية احياناً. ولهذا فبعد ان تستعمل في الوصول الى قرية الفلوجة، تباع هناك بمبلغ يسير اقل من سعرها في بيرەجك، فهناك تقتنى باربعين الى خمسين زكيناً[١] بينما تباع هنا بسبعة او ثمانية لااكثر.

عندما يعود التجار ادراجهم، فلهم ان يسلكوا احد الطريقين حسب ظروفهم: فان كانت ثم بضاعة خاضعة للضريبة فهم يأخذون طريق البادية الذي يستغرق اربعين يوماً، ونفقاته اقل.[٢] ولكن ان لم تكن معهم بضائع خاضعة للضريبة فهم يسيرون في الطريق المتجه الى الموصل، اذ من هناك تنطلق قوافل كثيرة.

يستغرق قطع المسافة مابين بيرەجك والفلوجة حيث تتوقف القوارب، مابين ١٥ الى ١٨ يوماً عادة، اي عندما تكون المياه عالية. والفلوجة تقع [على نهر الفرات] في منطقة مقابلة لبغداد. وحدث لنا في هذه الرحلة ان الامطار لم تهطل اياماً عديدة ولذا هبطت مناسيب المياه جداً، فاستغرقت رحلتنا ٤٤ يوماً، وكثيراً ماكانت القوارب تصطدم باليابسة فنضطر الى النزول منها وانزال البضائع ثم نسير قليلاً ونعود فنحمل البضائع من جديد على القوارب.

ولايستحسن السفر من بيرەجك بقارب واحد بل يجب اصطحاب قاربين او ثلاثة. ففي حالة تحطم احد القوارب يكون الآخر حاضرا للتحميل حتى يتم اصلاح القارب المتكسر. اذ ليس من المعقول ترك البضائع على اليابسة خلال فترة اصلاح القارب فمن الصعب حراستها من الاعراب الذين يتجولون هناك باعداد كبيرة خلال الليل محاولين السرقة.

وعندما تتوقف في الليل قرب الشاطيء وتربط القوارب اليه، فلابد من التناوب على الحراسة... والاعراب لايقتلون لكنهم يكتفون بالنهب والفرار. واستعمال البنادق في مواقف كهذه مفيد جداً لانهم يخافونها كثيراً.

هناك مواقع في طريق النهر بين بيرەجك والفلوجة يجب دفع ضريبة بضع قطع من فئة المؤيدية،[٣] عن كل حمل، وهذه ضريبة خاصة بابن «ابو ريشة»[٤] سيد الاعراب وتلك البادية الشاسعة. وله في تلك المنطقة بعض المدن والقرى تقع على شواطيء النهر.*

بين فلوجة وبغداد:

تتوقف القوارب القادمة من بيرەجك في الفلوجة، وهي قرية تنطلق القوافل منها الى بغداد مستغرقة يوماً ونصف اليوم.

اما بغداد فهي مدينة غير كبيرة، لكنها عامرة بالسكان، يكثر فيها الغرباء من التجار، لأنها نقطة انطلاق الى بلاد فارس وتركيا والى بلاد العرب. فان القوافل القادمة اليها والراحلة منها الى مختلف الجهات تكثر فيها. والمدينة مليئة بالبضائع والمؤن التي تأتيها من ارمينيا بواسطة النهر الذي يحيط باسوارها. وتنقل هذه المواد الى بغداد محملة على متن اكلاك عائمة فوق قرب منفوخة ومربوطة الى بعضها، ويطرحون فوق القرب الواحاً يضعون الاحمال عليها وهكذا ترسل الى بغداد. وعند وصولها تنزل الاحمال وتفرغ الزقاق من الهواء وتحمل على جمال وترسل الى مصدرها لتستعمل من جديد في سفرات اخرى.

تقع هذه المدينة ضمن الحكم الفارسي، لكنها منذ وقت والى الآن تخضع للحكم التركي.[٥] وللمدينة قسم مقابل في الجانب الآخر من النهر، في الجهة التي تواجه بلاد العرب، وفي هذا القسم سوق حسن، وفنادق،[٦] حيث يحل معظم التجار الغرباء الذين يفدون الى المدينة. ويتم العبور من هذا القسم الى المدينة على جسر مشيد من جملة قوارب مربوطة الى بعضها بسلاسل غليظة. ولكن عندما تهطل الامطار بغزارة ويرتفع منسوب المياه، فانهم يقطعون الجسر ويجرون قسماً منه الى هذه الجهة، والقسم الآخر يسحب امام سور المدينة. وفي هذه الحالة يعبرون النهر بالقوارب. ولك ان تتصور خطر العبور في هذه الاحوال؛ لان القوارب

صغيرة، ويبالغون في تحميلها، والتيار قوي، ولذا تنقلب القوارب احيانا فيبتلعها النهر ويغرق الناس، كما شاهدت ذلك بام عيني غير مرة عندما كنت في هذه المدينة.

برج بابل:

يقع برج نمرود،[١٠٠] في الجانب الأخر من النهر، في سهل واسع. ويبعد عن المدينة نحو سبعة اميال او ثمانية. وقد تهدمت اطرافه كلها، فاصبح اشبه مايكون بجبل، لاصورة له. ولو ان قطعة كبيرة منه لاتزال قائمة تحيطها تلك الخرائب، او بالاحرى تغطيها.

شيد هذا البرج بطابوق مجفف بحرارة الشمس. واما طريقة البناء فهي كما يلي: لقد وضعوا طبقة من الطابوق ثم طبقة من القصب الذي لايزال قوياً عجيباً حتى الآن، مع طبقة من الطين عوض الملاط.

لقد طفت حول البرج عند اقدامه، فلم اجد فيه مدخلاً. ويبلغ محيطه في تقديري نحواً من ميل او اقل، ولكن لااكثر.

يترك هذا البرج انطباعاً يختلف عن اي شيء آخر يشاهد من بعيد. فالاشياء تظهر من بعيد صغيرة وبقدر مايقترب المرء منها تظهر اكبر حجماً. بينما هذا البرج يظهر عظيماً وبقدر ماتقترب منه يفقد تدريجياً هذه العظمة. وسبب هذا الانطباع في رأيي: ان البرج يقوم في وسط سهل واسع، وليس بقربه اي شيء مرتفع، اللهم تلك الانقاض المتساقطة منه. وهذا السبب فمن ينظر اليه من بعيد، والى ماحواليه من اكوام متساقطة يخرج بانطباع العظمة، ولكن يختلف المنظر عند الدنو منه.

السفر الى البصرة:

رحلت من بغداد الى البصرة بواسطة المراكب التي تتنقل في نهر دجلة، بين بغداد والبصرة، وبالعكس. وهذه المراكب مصنوعة بمقدمة متينة، وكوثلها[١٠١] مغطى، ولم يتركوا في اسفلها فراغاً منهم لايحتاجون اليه اذ لايخافون تسرب الماء، لانها مطلية بطبقة كثيفة من القار، نظراً لكثرة ماعندهم من القار. فعلى بعد مسيرة يومين من بغداد، وعند نهر الفرات، تقوم مدينة اسمها هيت، وبقربها سهل فسيح مليء بالقير الذي ينبثق من الارض. وماأعجب منظر العين التي ينبثق منها القير الى الجو مصحوباً بدخان خفيف، ثم ينتشر القير على الارض، فتجد منه دائماً كميات كبيرة. ويقول المسلمون ان تلك العين هي فوهة الجحيم؛ والق يقال ان المنظر جدير بالمشاهدة. وهذا السبب فتلك الشعوب تحصل عليه بسهولة وتستعمله بكثرة في طلي القوارب. ويطلقون على تلك المراكب اسم الدانك[١٠٢] او السفينة.

تستغرق المسافة مابين بغداد والبصرة ثمانية ايام او تسعة عندما يكون نهر دجلة عالياً. اما نحن فقد امضينا ضعف هذه المدة لان المياه كانت هابطة، وكنا نسير في النهار والليل حسب مستويات الماء.

هناك اماكن يجب دفع الضرائب فيها، بضع قطع من فئة «المؤيدية» عن الحمل الواحد. وبعد تسعة عشر يوما وصلنا اخيرا الى البصرة.

البصرة:

البصرة من مدن بلاد العرب. وكان يحكمها قديماً العرب [ابناء] الجزيرة، اما الآن فهي تخضع للسيطرة التركية التي وضعت فيها ادارة كبيرة تنفق عليها الكثير.

اما العرب الجزائريون فلهم بلد كبير، ويرفضون الخضوع للحكم التركي الذي لايستطيع اخضاعهم لما في بلدهم من قنوات كثيرة تتصل بالبحر، بين كبيرة وصغيرة، بحيث تتكون مواقعهم من جملة جزر، لايستطيع الجيش التوغل فيها، لاعن طريق الماء ولاعن طريق اليابسة، وسكان هذه المنطقة رجال قتال.

قبل الوصول الى البصرة بيوم واحد على ماذكر، رأينا قلعة صغيرة تسمى القرنة، تقوم في نهاية الارض حيث يلتقي دجلة

بالفرات فيكونان نهراً عظيماً هادراً تصب مياهه جنوباً في الخليج.

تبعد البصرة عن البحر نحو خمسة عشر ميلاً. وفي هذه المدينة تجارة واسعة بالتوابل والعقاقير التي تأتيها من هرمز. وفي المدينة ايضاً كميات عظيمة من القمح والرز والبقول والتمور التي تنمو في المنطقة نفسها.

السفر من البصرة:

ركبت البحر من البصرة متوجهاً الى هرمز. وتبلغ المسافة بينهما ٦٠٠ ميل. ويتم السفر في سفن مصنوعة من الواح مخيطة الى بعضها بحبال دقيقة. ويتركون بين لوح وآخر مسافة يدسون فيها نوعاً من التبن، ولذلك يتسرب الماء. فهي والحالة هذه وسائط خطرة جداً.

بعد مبارحة البصرة تمخر نحو ٢٠٠ ميل في الخليج ويكون البحر من جهة اليمين حتى نصل الى جزيرة خرج، ويتم الانطلاق من هناك الى هرمز، فتكون ارض فارس عن يسارنا وارض العرب عن يميننا. ونلقى في طريقنا عدداً لاحد له من الجزر.

[ويكمل الرحالة طريقه الى هرمز ثم الهند والشرق الاقصى، وفي طريق عودته الى بلاده يمر بالبصرة: ص ٦٣ من النص الاصلي ومايليها].

طريق العودة الى البصرة:

. . . لنعد الآن الى سرد احداث رحلتي. فقد التقيت في هرمز بالسيد فرانشسكو برتين البندقي فاشتركنا في استئجار سفينة تقلنا الى البصرة لقاء سبعين دوكاة.[٣١] وقبلنا معنا بعض التجار ليساعدونا في دفع المبلغ المذكور. فوصلنا بسهولة الى البصرة حيث مكثنا اربعين يوماً منتظرين اعداد قافلة المراكب التي تتوجه الى بغداد. اذ لايذهب الى بغداد قاربان او ثلاثة، بل يجب ان يتجمع عدد كبير منها، مابين عشرين الى خمسة وعشرين او ثلاثين. واذ لاتقدر المراكب على السفر في الليل بل عليها الرسو عند الشاطيء، لذا يجب ان تقوم حراسة شديدة، عالية التسلّح خوفاً عليها من اللصوص الذين يتسللون لسرقة التجار.

تسير المراكب في طريقها الى بغداد في اول الامر بقوة الاشرعة، ومن ثم بواسطة الحبل المربوط الى السارية.

استغرق السفر الى بغداد خمسين يوماً. وفي بغداد اضطررنا الى البقاء اربعة اشهر حتى تجمعت القافلة المتجهة الى حلب عبر البادية. ورافقنا من هذه المدينة ستة تجار، خمسة منهم من اهل البندقية وواحد برتغالي. . . فتزودنا بالمؤن الضرورية لنا، وعلفاً لحيواناتنا، تكفي اربعين يوماً، واشترينا جياداً وبغالاً، فهذه الحيوانات رخيصة هنا. فقد اشتريت حصاناً باحد عشر زكياً، وبعته من ثم بحلب بثلاثين دوكاه. واشترينا خيمة للسفر، كنا نجد الراحة فيها.

اما الاحمال فقد كان عندنا ٣٢ جملاً. وقد دفعنا سبع دوكاه لحمل الجمل الواحد. ولكل عشرة جمال نستأجرها يقدمون جملاً مجاناً، فعندما نطلب عشرة جمال نحصل على احد عشر، فهذه عادة البلد. واعتقد ان هذا الجمل الزائد هو للقيادة. كما اصطحبنا ثلاثة حمالين ممن اعتادوا مرافقة المسافرين في ذلك الطريق، وهكذا ارتحنا من جهة الخدمة، ولم يعكر سفرنا اي مكروه. وعندما تتوقف القافلة، كانت خيمتنا من الخيم الاولى التي يتم نصبها. والقافلة لاتسير كثيراً في اليوم، بل تكتفي بقطع نحو عشرين ميلاً. وكانت تبدأ السير قبل مطلع النهار بساعتين وتتوقف نحو التاسعة عشرة. ولحسن حظنا امطرت السماء اكثر من مرة خلال رحلتنا فلم يعوزنا الماء، كما كنا نلقى ماء عذباً كل يوم تقريباً، ولم نجد صعوبة، فلنا جمل محمل بالماء للحالات الطارئة. مهما يكن من امر فاننا لم نحتج الى شيء في رحلتنا لامن جهة الماء ولالاي شيء آخر. فكل شيء متوفر، بحيث كنا نأكل كل يوم لحماً ضربا: ففي القافلة قطيع من الاغنام مع رعاتها. وقد اشترينا الاغنام في بغداد، وكان كل تاجر قد وسم اغنامه بعلامة خاصة. وكنا نعطي للراعي «مؤبدية» واحدة عن كل شاة يقوم بذبحها، وكان الراعي يأخذ اضافة الى تلك القطعة: رؤوس الاغنام وجلودها وكروشها. ولايذبح الرعاة خروفاً الا على طلب التجار. وعلى سبيل المثال فان جماعتنا المكونة من ستة انفار ـ المنوه بهم اعلاه ـ اشترينا عشرين خروفاً. ولما وصلنا الى حلب كان لايزال معنا سبعة خرفان. وهذه الخراف من النوع الكبير والسمين.

ورغم عددنا الكبير كان الخروف يكفينا ليومين. ومن عادات السفر ان جماعات القافلة تتبادل اللحوم الواحدة مع الاخرى لكي لاتحمل معها لحماً طرياً، وهذا حل مربح لهم. فمن يذبح خروفاً في هذا اليوم يعطي نصفه لجماعة ثانية فيعاد اليه حقه في اليوم التالي.

يستغرق السفر من بغداد الى حلب اربعين يوماً، منها ستة وثلاثون يوماً في البادية حيث لايشاهد الا الارض الخالية وليس فيها اثر طريق. يسير الادلاء في المقدمة وتتبعهم القافلة لانهم يعرفون الطرق والمواضع التي تتوقف فيها القافلة حيث توجد آبار. فمتى ماتوقفوا توقفت القافلة حلاً.

قلت اننا نقضي ستة وثلاثين يوماً في البادية، لاننا بعد ان نغادر بغداد نسير يومين في مواضع مأهولة حتى نعبر الفرات. وهكذا ايضاً قبل الوصول الى حلب بيومين نجد قرى ومواضع مسكونة من الناس.

يسير في القافلة دوماً قائد يحل مشاكل المسافرين، ويعين الحراس اثناء الليل فيطوفون حول القافلة.

بعد وصولنا الى حلب، ذهبت الى طرابلس. . . حيث اخذنا مركباً بغية زيارة القدس، فرحلنا من طرابلس الى يافا، لكن الرياح القوية رمت بنا الى قبرص، فعبرنا الخليج الى يافا، ومن هنا يستغرق السفر في البر يوماً ونصف. وقد طلبنا من صاحب المركب ان ينتظرنا هناك حتى عودتنا من القدس. وهناك امضينا اربعة عشر يوماً في زيارة الاماكن المقدسة على راحتنا، ثم عدنا الى يافا واقلعنا الى طرابلس فصعدنا على متن السفينة «راكاتسونا» فوصلنا بعون الله وبعد اتعاب جمة الى البندقية في الخامس من تشرين الثاني ١٥٨١.

ان كان احد يبغي السفر الى تلك الاطراف من الهند فلا يتراجع عند اطلاعه على الصعوبات الكبيرة اوالصغيرة التي لاقيتها. فقد توقعت ان اجد مثل ذلك لاني غادرت البندقية وانا فقير ليس معي سوى ١٢٠٠ دوكاه استثمرتها في بضائع، فلما وصلت الى طرابلس تمرضت. . . فارسلت بضاعتي في قافلة صغيرة متوجهة الى حلب، لكن القافلة تعرضت للسطو وتفرقت اموالي ومنها اربعة صناديق مليئة بالزجاج كلفتني سبعين دوكاه، وجدتها فيما بعد وقد تكسرت معظم محتوياتها، لان اللصوص عند فتحهم لها لم يجدوا فيها سوى الزجاج فكسروا بعضها على امل ان يعثروا فيها على المال وتركوها. وبهذا رأس المال استطعت التجارة بالتبادل فعدت بمال وفير.

في دون برنولوميو ديوبيجي من اهل فانو، استخرجت اخبار هذه الرحلة من مذكرات السيد تشيزاري وكتبتها بامانة، جمعها المؤلف اكثر من مرة للتأكد من حقيقة الكلام وصحته، فاراد نشرها للفائدة العامة.

---

* الهوامش *

١ ـ وردت في الاصل «البيره» وهي مدينة على الفرات الاعلى.

٢ ـ دعاها بابل على عادة الرحالين الاوربيين.

٣ ـ قيل ان هذه اللفظة هي تصحيف لكلمة «سكة» العربية. وهي نقد من الذهب، اختلفت قيمته مع الزمن.

٤ ـ يشير الى الطريق مابين نهري الفرات ودجلة.

٥ ـ نسبة الى المؤيد شيخ من الملوك المماليك في مصر (١٤١٢ ـ ١٤٢١). ذكر المقريزي هذه النقود في «كتاب النقود القديمة الاسلامية» لمعهد الآب الكرملي (القاهرة ١٩٣٩) ص ٦٣. ونقد تشوهت اللفظة على يد السائح فكتبها «مدين». فظنها البعض اسم نقد (انظر يعقوب سركيس: نظرة في كتاب النقود العربية وعلم النميات مجلة المجمع العلمي العراقي ١ [١٩٥٠] ص ٢٩٢).

٦ ـ هي عملة بندقية الاصل سكها الدوق باربار يكو (١٤٨٦ ـ ١٥١١).

٧ ـ في الاصل «ابو ريزة» ولم يذكر اسمه.

٨ ـ في غفلة من الزمن استولى الفرس على بغداد في عهد الشاه اسماعيل الصفوي، فعاثوا فيها فساداً، واستعادها العثمانيون سنة ١٥٣٤م (٢٤ جمادي الاخرة ٩٤١هـ).

٩ ـ وردت الكلمة بلفظها العربي.

١٠ ـ يشير الى آثار عكركوف.

١١ ـ الكوتل: مؤخر السفينة.

١٢ ـ وهو ضرب من السفن الشراعية. يجمع على دوانيك ودوانيج. انظر: حبيب زيات: المراكب والسفن في الاسلام (مجلة المشرق البيرونية) ١٩٤٩: ص ٣٣٤.

١٣ ـ نسبة الى الدوق وهو سيد البندقية في ايام نزولها في المئة الثالثة عشرة للميلاد. نوه بهذه الرحلة الاستاذ سعاد هاوي المصري في كتابه: «بغداد كما وصفها السواح [كذا] الاجانب في القرون الخمسة الاخيرة» (بغداد ١٩٥٤) ص ١٦ ـ ١٧.